العدد 2315 - السنة الثامنة
الإثنين 4 صفر 1437 - الموافق 16 نوفمبر 2015
Monday 16 November 2015 - No.2315 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

مسلك هذا الدين الحنيف وعماده

الوسطية .. في الإسلام

الوسط والمسلك الوسط هو مسلك الإسلام، والله عزّ وجل يقول: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا [البقرة:143] فالوسط هو الخيار، والوسط هو ما يكون بين الطرفين طرفي الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء، فقد اختلفت فيها الحوادث حتى أصبحت طرفا.

فالإسلام دين الوسط، وسوف نأتي إلى وسطية الإسلام عموماً، ثم نأتي إلى وسطية أهل السنة والجماعة على وجه الخصوص، لكن لا شك أن ما نذكره لا يقيم الإسلام على وجهه إلا من فقه هذه الوسطية.

وسطية الإسلام بين الديانات الأخرى:

فالإسلام وسطٌ بين طريق المغضوب عليهم أمثال: اليهود الذين قتلوا أنبياء الله، وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، وأسرفوا في التحريم، وحرموا كثيراً مما رزقهم الله، وبين الضالين أمثال: النصارى الذين اتخذوا الأنبياء آلهة واتخذوا الأحبار والرهبان معبودات من دون الله، وأسرفوا في التحليل حتى قالوا: كل شيء طيب للطيبين.

أما أهل الحق، فصراطهم صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

والإسلام وسط في الاعتقاد بين خرافيين يصدقون بكل شيء، ويتعلقون بكل شيء، ويؤمنون بغير برهان حتى عبدوا آلهة من دون الله، فعبدوا الأبقار وقدّسوا الأحجار والأوثان، وبين من ينكر كل شيء، ولا يتعلقون إلا بالماديات المحسّة، ويتنكرون من رداء الفطرة والعقل وبراهين المعجزات؛ ولكن القرآن يقول لهؤلاء وهؤلاء: قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين [البقرة:111].

إن الحديث عن الوسطية في الاعتقاد ملح وبخاصة في عصرنا الحاضر، فتجد حتى في الوقت الحاضر غلواً في الماديات، حتى أنكروا وجود الله عزّ وجل وعبدوا المادة، بل وأصبحوا دهريين، وغلوا في المعبودات حتى عبد الشيطان، أي: وصل بهم الفراغ الروحي، وهو الشطط والإفراط إلى أن عبدوا الشيطان، في الوقت الحاضر الذي يسمونه عصر التنوّر، مع أن الشيطان عُبد من قديم، لكن ظهرت عبادة الشيطان حتى في أبناء هذا الجيل.

فوسطية الإسلام في هذا: الإيمان بالله وحده، إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يُشركون: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، وكل من سواه مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

وسطية الإسلام في الأنبياء:

والإسلام وسط بين الذين عظّموا الأنبياء وقدّسوهم ورفعوهم فوق منزلتهم حتى جعلوهم آلهة، أو أبناء لله، وبين الجفاة الذين كذبوهم وآذوهم، بل عذبوهم وقتلوهم، بل في الوقت الحاضر بعضهم يقولون: إنهم مجرد مصلحين اجتماعيين، أو هم مصلحون في أوقاتهم فحسب، أما الآن فما أتوا به غير مناسب لهذا الوقت!

وسطية الإسلام في العقل:

كذلك الإسلام وسط بين الغلاة في العقل الذين جعلوه مصدر المعارف والحقائق في الوجود وما وراء الوجود، وبين الجفاة الذين تنكروا له وانزلقوا وتعلقوا بالإلهامات، وعُمت أبصارُهم.

فمع الأسف جمع الماديون بين التعلق بالمادة، والتعلق بالعقل، فما أوصلتهم إليه عقولهم قبلوه، وما لم تقبله عقولهم ردوه، كما أنه يقابلهم طرف آخر أفرطوا، فألغوا عقولهم بالكلية، فتعلقوا بالأوهام، وتعلقوا بالخرافات، فالإسلام وسط من ذلك، فهناك أمور غيبية لا يدركها العقل فيُسلّم بها بضوابطها، وأمور معقولات، وقد جعل الله عزّ وجل لنا عقولا، وجعلها هي محطة التكليف.

إذا نحن أهل الإسلام ديننا دين وسط في ذلك، فالعقل له منزلته، بل العقل هو محطة تكليف، وفي المقابل نحن لا نغلو بحيث ما لم تصدقه عقولنا لا نقبله؛ لأننا نعلم أن العقل محدود، كما أن طاقاتنا كلها محدودة، فقوة اليد، والبصر، والسمع كلها محدودة، كذلك قوة العقل محدودة، لكنها قوة نعترف بها في حدودها.

كذلك ديننا وسط في الأحكام والعبادات، فالتكاليف في حدود الاستطاعة، لم يكلفنا الله عزّ وجل إلا في حدود قدرتنا لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة:286] في الصلوات، في الزكاة، في الصيام، في الحج، في سائر المطلوبات الشرعية، بل الذين أرادوا أن يشددوا على أنفسهم في العبادة، نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف منهم موقفاً شديداً، كما في قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عبادته: «فكأنهم تقالوها، فقال أحدهم: أما أنا فأصلي ولا أنام، وقال الآخر: أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: لا أتزوج النساء، فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، أما أنا فأصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني».

إذا هو وسط في التكاليف، بل -في التكاليف- إذا طرأ عليك ظرف خفف الله عليك، فإذا جاء ظرف سواء أكان شاقاً أو في الأسباب التي قررها الشرع كالسفر مثلاً، قد لا يكون شاقاً، لكن لو حصل ظرف شاق فإنه يأتي التخفيف.

فإذاً التكاليف وسط، ولهذا المداومة على العبادة تكون في حدود ما تطيق «عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا»، «وأحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه، وإن قل» ولهذا ابن الجوزي رحمه الله يعلق على قضية المداومة، فيقول: إنما أحب الله الدائم لمعنيين

أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل، فهو متعرض للذم، ولهذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية، ثم نسيها، وإن كان من قبل حفظها لا يتعين عليه.

ثانيهما: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتاً كمن لازم يوماً كاملاً، ثم انقطع.

مساجد الإسلام .. في كل مكان

جامع السلطان قابوس الأكبر بسلطنة عمان

جامع السلطان قابوس الأكبر هو أكبر المساجد التي أمر السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان ببنائها. يقع الجامع في محافظة مسقط. وقد أمر ببناءه عام 1992. يتميز الجامع بالتصميم الفريد الذي قام به المهندس المعماري محمد صالح مكية بالاشتراك مع كواد ديزين Quad Design ومركزهم لندن ومسقط. واستمر بناءه 6 سنوات حتى اكتمل.

الجامع بجانب وظيفته الدينية يعد مزاراً سياحياً حيث يسمح بالزيارة يوميا من الثامنة صباحا وحتى 11 ظهرا بجانب وجود مكتبة وقاعة للمحاضرات.

يتميز تصميم الجامع بأحتوائه على مختلف الفنون المعمارية والجداريات مثل فن الزليج المغربي والجداريات المغولية بجانب الممرات والقباب والمآذن والحدائق الواسعة والنوافير المائية.

استخدمت في بناءه مختلف المواد من الخشب والرخام والزجاج المعشق والجداريات والزخارف النحاسية

يقع المصلى الرئيس في شرق الصحن الغربي بقبته المركزية التي ترتفع 50 متراً. والمئذن بارز في جدار القبلة من الرخام المنقوش على يمين المحراب. وقد وصل عدد قطع الفسيفساء آلة في تزين المصلى الرئيس ما يقارب ثمانية ملايين قطعة، ومع إمكانية احتواء الصحن الخارجي لثمانية آلاف مصل بالإضافة إلى الصحن الداخلي والأروقة، فإن السعة الإجمالية للجامع تصل إلى إمكانية احتواء 40 ألف مصل ومصلية. وقد جهزت قاعة المصلى الرئيسية بوحدة إنتاج للفازي تضم خمس كاميرات، وأحدث أنظمة الصوت لنقل الفعاليات من شعائر الصلاة وندوات ومحاضرات وتصويرها.

جدران المصلى الرئيسي تتوج بشرفات يتأصل طرازها في عمارة القلاع العمانية خاصة، ومستنات الشرفات في العمارة الإسلامية عموما، فيما يتميز جدار القبة بكوة المحراب البارزة في نتوئها عند الواجهة.

يوجد في المصلى قبة مركزية بارتفاع 50 متراً مزينة بالفسيفساء تتدلى منها ثريا تعد الأضخم بعد ثريا جامع الشيخ زايد في أبوظبي، إذ ترتفع 14 متراً، وبقطر 8 أمتار وتزن 8 أطنان ويوجد بها 1122 شمعة. والقبة من الداخل محاطة بتصميمات مجسمة لها شكل مثلثات هندسية ضمن هيكل من الأضلاع والأعمدة الرخامية المتقاطعة بأقواس مدببة مرصعة بجميع عناصرها بألواح من الخزف المصقول، وتأخذ الأضلاع الرخامية المقوسة والمعقودة هيكل القبة الكروي المزينة بالزجاج الملون.

و يلف القبة شريط من الزخارف الكتابية يتضمن آيات قرآنية بخط الثلث بألوان جذابة. كما أن للقبة غشاء مخرماً منشابكا منمقة خطوطه بشعرية ذهبية، وتتجلى من خلال شفافية هيكل القبة الثانية المكسوة بقشرة من أحجار الفسيفساء الذهبية بأكملها.

من مقومات المسجد السجادة العجمية التي تفرش بلاط المصلى بقطعة واحدة، تبلغ أبعادها أكثر من 60 × 70 متراً، وتغطي مساحة 4263 متراً مربعاً. والسجادة مؤلفة من 1700 مليون عقدة وتزن 21 طناً. إن رقة نسيجها الرفيع وتعقيده يعود إلى جودة عقدتها التي تصل إلى 40 عقدة في كل 6.5 سنتيمتر، واستغرقت صناعة السجادة وإنتاجها أربع سنوات، استغرق منها 15 شهراً لإعداد التصاميم، والخيوط، والصباغة، وإقامة ورش الحياكة الخاصة بها. أما عملية الحياكة فبلغت مدتها 27 شهراً متواصلة تبعها فترة 5 أشهر في الإنهاء، والقطع، والغسيل النقليدي

و عدد القطع المؤلفة للسجادة 57، إضافة إلى سجادة خاصة بالمحراب والمتصلة بها. وتمت عملية تجميع التوصيل والحياكة لأطراف السجادة وحواشيها وضبطها داخل قاعة المصلى، وتمت حياكة السجادة في نيسابور، على أيدي 600 امرأة تحت إشراف خبراء في تصميم السجاد ونسجه.

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون»

اسم الله تعالى .. المصور

ورد هذا الاسم مرة واحدة في القرآن وهو قوله تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:24]

وجاء بصيغة الفعل مرات ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [آل عمران:6] ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف:11] ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [التغابن:3]

المعنى لغة:

يُقال: المصوّر صوّر الشيء بمعنى المثل. قال: رجل أصور أي مائل، وصرتُ إلى الشيء أي أملته إليك ومنه قول الله تعالى ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة:260] أي أملهن واجمعهن إليك

ويقال تصور الشيء أي تخيله وتوهمه.

والتصاوير أي التماثيل

وصورة الأمر كذا وكذا: أي صفته، وضربه فتصور :أي سقط.

يُقال صوّر الشيء: أي جعل له شكلاً معلوماً، قطعه وفصله وميزه وهذا قريب أيضا من اسم الله البارئ فهو فيه معنى التمييز للشيء. وفيه معنى الخلق وتصويره: جعله على شكل متصور وعلى وصف متعين أو وصف معين .

هكذا ذهب اللغويين في شرح هذا الاسم.

والصورة لغة: هي الشكل والهيئة والذات المتميزة بالصفات.

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: «الصورة ما يتنقش به الأعيان ويتميز بها غيرها وذلك ضربان أحدهما محسوس يدركه الخاصة والعامة، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان بالمعاينة كصورة الإنسان والفرس والحمار والثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والروية والمعاني التي خص بها شيء بشيء»

فالمصور في حق الله سبحانه وتعالى: هو الذى صور الأشياء بشتى أنواع الصور الجلية، والخفية، والحسية، والعقلية، فلا يتماثل جنسان أو يتساوى نوعان بل لا يتساوى فردان ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة:4] فالصور تتميز بالوان وأشكال في ذاتها وصفاتها، في خارجها وداخلها.

والله جل وعلا أبدع صور المخلوقات وزينها بحكمته وأعطى كل مخلوق صورة على مقتضى مُشيئته وحكمته، فهو الذي صور الناس في الأرحام أطوارا ونوعهم أشكالا. قال تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف:11]

ومرحلة التصوير هي المرحلة الثالثة من مراحل الإيجاد بعد الخلق والبرء، فبعد تقدير الشيء وإنفاذه في الوجود تأتي مرحلة إضفاء الملامح والسمات التي يتميز بها كل مخلوق عن غيره.

ومثله – ولله المثل الأعلى– إذا أراد إنسان أن يبني بناءً يأتي بمهندس يضع له تصورا للبناء أولا تم تبدأ مرحلة تنفيذ البناء بالمواد الأولية ثم المرحلة الأخيرة مرحلة التزيين وتجميل البناء حتى يتميز عن غيره من الأبنية، ولله المثل الأعلى.

وإذا كان هذا البناء – وهو أمر هين- يحتاج إلى عدة أشخاص لإخراجه إلى الوجود والفراغ منه. فكيف بخلق السموات والأراضين السبع والشمس والقمر والكون على ما فيه من خلائق وأعاجيب .. فسبحان من خلق وصور وحده بلا معين ولا وزير.. فهو وحده الخالق البارئ المصور. وحده قدر الشيء من قبل ثم أنفذه في وجوده ثم أعطاه من الملامح والقدرات ما يجعل له كيانا مميزا مستقلا..فسبحان الرب الإله.

المعنى في حق الله سبحانه وتعالى كما ذكر أهل العلم

الطبري يقول: «المصور أي الذي صور خلقه كيف شاء وكما شاء» وقال في تفسير قول الله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ×فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار:7-8] أي صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء.

يعني وكان الخلق في البداية يكون كقطعة طين ثم يميله إلى جنس معين، فهذا من جنس عربي وآخر من جنس أعجمي، وهذا أبيض وذاك اسمر، وهذا أماله إلى صوره حسنة وذاك إلى صورة قبيحة أو إلى صورة بعض القرابات مثلا، فهذا يشبه أباه وهذا يشبه أمه وهذا يشبه خاله وآخر يشبه عمه وهكذا.

قال الزجاج: «المصور هو مصور كل صورة لا على مثال احتذاه ولا على رسم ارتسمه بل يصوره كيفما شاء سبحانه وتعالى».

قال ابن كثير: «الخالق البارئ المصور أي الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار».

ويقول الخطابي: «هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [التغابن: 3] » لأنه لو وجد شخصين يتشابهان تماما لن يتمكن الناس من التفريق بينهما، وهذه الحكمة تغلق باب الاستنساخ لأنه يناقضها.

إذا فمعنى المصور على أمرين الأول: الذي أمال خلقه وعدلهم إلى الأشكال والهيئات التي توافق تقديره وعلمه ورحمته التي تتناسب مع مصالح الخلق ومنافعهم.

والثاني: أنه الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة وهيئات متباينة من الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والأنوثة كل واحد بصورته الخاصة.

توحيد الله سبحانه وتعالى

قلنا أن اسم الله المصور يوجد فيه معنى التمييز. إذا فأول شيء يُراعيه العبد في العمل بهذا الاسم هو تحقيق التوحيد، فلا يتشبه بما انفرد به ربه من صفات الربوبية، ولا يقع في شرك التمثيل ولا يشبه الله سبحانه وتعالى بصفات البشر على الوجه المذموم .

أتغرس وأنت شيخ كبير ؟

مر رجل على أبي الدرداء الصحابي الزاهد رضي الله عنه

فوجده يغرس فسيلة من النخيل، وهو في شيخوخته وهرمه.

فقال له: أتغرس هذه الفسيلة وأنت شيخ كبير، وهي لا تثمر إلا بعد أعوام كثيرة؟!.

فقال أبو الدرداء: وما علي أن يكون لي أجرها، ويأكل منها غيري.